تستدعي أشباح الماضي التي دفنتها «وادي عربة» ودعوات للتحرك ضد الوطن البديل

الأردن يحذر من خطة أولمرت الآحادية ويعتبرها عملا عدائيا

الملك عبد الله

محمود عباس

ايهود اولمرت

عمان ـ «القدس العربي»

من بسام البدارين:

مرور إيهود اولمرت رئيس الوزراء الإسرائيلي في عمان خلال رحلة عودته من واشنطن محطة قد تكون مهمة على طريق «إبلاغ» الأردنيين بالنوايا الإسرائيلية الجديدة ومحاولة «تبديد مخاوفهم» لكن الزيارة المرتقبة بالنسبة لعمان اكثر أهمية فالعاصمة الأردنية تخطط «لإسماع» أولمرت رأيها في مسار الأحداث ولتقليص هوامش المناورة أمامه عبر التأكيد الواضح بان خطته الموضوعة الآحادية مرفوضة على الإطلاق جملة وتفصيلا «أردنيا».

وعمان ناضلت بكفاءة من أيام أرييل شارون ضد التوجهات الآحادية ولم يعجبها كلام اولمرت الأخير عن حليفها الرئيس محمود عباس وإعتباراته حازمة فيما يتعلق بأي خطط أحادية او من جانب واحد، والأهم انها فيما يتعلق بالوضع الحالي المعقد في فلسطين قد لا تكتفي برفض خطة أومرت بل بإعتبارها «عملا عدائيا» تجاه الأردن والأردنيين على حد تعبير سياسي مخضرم تحدث لـ«القدس العربي» بالموضوع.

وثمة أساس للشعور الأردني بالعدائية، فالنشطاء الإعلاميون والسياسيون والبرلمانيون يضغطون بشدة على حكومتهم لكي تتخذ موقفا صارما ضد الخطة الأحادية التي يحاول اولمرت بيعها للعالم على اساس النظرية القديمة المتمثلة في عدم وجود «شريك فلسطيني» وما كانت عمان تحاول فعله طوال اسابيع أزمتها الأخيرة مع حركة حماس هو تعزيز فرص الرئيس محمود عباس بحيث ينعكس ذلك إيجابا على مهاراته ومناوراته وحصته في العمل السياسي.

وأولمرت لا يبدو بالتكتيك الأردني ولا حتى بالمشاعر الأردنية ويقدم الأدلة يوميا على ذلك ولذلك ينتشر إحساس وسط دوائر القرار الأردنية يتحدث عن «إجبار» اولمرت بأي طريقة على إحترام الخيارات والمخاوف الأردنية، فأهم عنصر ضاغط على الحكومة الأردنية في حال تطبيق الخطط الآحادية هو تحذيرات عشرات من النخب الوطنية من نتائج ذلك الكارثية على الوضع «الديمغرافي» في الأردن وهو كلام سمعه وتوافق معه الرئيس عباس عندما زار شخصيات سياسية رفيعة المستوى قبل عدة أيام من طراز عبد الرؤوف الروابدة وفايز الطراونة وغيرهما.

إذ ما تفكر به الدبلوماسية الاردنية الان هو هجوم تكتيكي مضاد مماثل للمجهود الذي بذل في عهد وزير الخارجية السابق الدكتور مروان المعشر عندما شنت عمان حملة دولية ضد الجدار الاسرائيلي العازل انتهت بقرارات قضائية دولية قوية تندد بالجدار وتستنكره لكن اهداف الحملة الجديدة لم تحدد بصورة مفصلة بعد ولازالت مفتوحة على كل الاحتمالات والمعروف ان اولمرت اذا زار عمان سيسمع كلاما مباشرا وليس عاما لا ينطوي فقط على التنديد بخطته الاحادية ورفضها ولكن ينطوي ايضا على الاعلان بان عمان ستقف بقوة ضد هذا الخيار وستعلن الحرب عليه.

وبطبيعة الحال لدى الاردنيين اسباب داخلية وامنية تدفعهم للنضال ضد خطة اولمرت الاحادية فهي خطة تلحق برأي الكثيرين ضررا بالغا في المصالح الاردنية عناوينه تتجاوز تصعيد الامور في وجه خارطة الطريق واعادة خلط الاوراق في اطار المعادلة الاردنية الفلسطينية ثم وهذا الاهم استدعاء كل الكلام السيئ عن هجرات الفلسطينيين وخلق ظروف مواتية لهجرتهم باتجاه الضفة الشرقية لنهر الاردن في حالة تطبيق الخطط الاحادية.

ويمكن القول من البداية بان الهجوم التكتيكي الاردني المضاد بدأ فعلا فقد ارسل العاهل الاردني الملك عبد الله الثاني رسالة للرئيس الامريكي جورج بوش تتضمن المواقف والمخاوف الاردنية وتسبق لقاء اولمرت بوش والهدف من هذه الرسالة واضح تماما وهو محاولة المشاركة مسبقا في تأسيس موقف رئاسي امريكي يضيق هوامش المناورة امام خطة اولمرت المزعجة حيث ان عمان قررت مسبقا ان تصرخ ضد هذه الخطة وقررت مسبقا انها خطة تعادل مصالح المصالح الاردنية وانها ستراقبها وستهاجمها اذا لزم الامر بكل الادوات الممكنة.

ويبدو في السياق ان الدبلوماسية الاردنية متنبهة لمناورات الخداع التي يمكن ان يمارسها اولمرت ورفاقه في الحكومة الاسرائيلية الجديدة عبر محاولة ايهام العالم بالموافقة على تطبيق خارطة الطريق وتقديم تصورات الخطة الاحادية بالمقابل وماتفكر الحكومة الاردنية بالاشارة اليه في هذا السياق هو ان تطبيق خارطة الطريق يتطلب في الواقع الموضوعي وجود طرفين اسرائيلي وفلسطيني، كما ان احتمالات الفوضى والاضطراب الامني ستبقى قائمة اذا ما تمكن اولمرت من تطبيق خطته الاحادية خلال العامين المقبلين. وكل هذه الاشارات تدلل على ان العلاقات الهادئة بين عمان والحكومة الاسرائيلية تخفي في كواليسها ترصدا متبادلا، فالنخبة السياسية الاردنية لديها تصور غير قابل للتعديل بوجود مخاطر ناتجة عن السماح لاولمرت دوليا بتنفيذ الخطة الاحادية وهي مخاطر لها علاقة مباشرة بمصالح الاردن واستقراره وقد وردت على لسان الملك عبد الله الثاني تلميحات واضحة في هذا الاتجاه خصوصا في ظل الوضع الفلسطيني الداخلي المعقد جدا والذي يشغل بال الاردنيين منذ اسابيع.

ويعتقد على نطاق واسع هنا في عمان بان الخطة الاحادية لاولمرت اخطر من الجدار العازل وبالتالي فأي برنامج اسرائيلي يتضمنها لا يمكن قبوله او هضم نتائجه ببساطة خصوصا وان التعبيرات الصحافية المحلية تطالب الدولة والحكومة بالتحرك السريع ضد خطة اولمرت باعتباره دفاعا عن النفس وعن المصالح الاردنية وليس عن المصالح الفلسطينية فقط كما ينظر للخطة باعتبارها محاولة للمساس بالاساس القانوني لاتفاقية وادي عربة.

وتقول القراءات الاردنية بان اكمال ما تبقى من الجدار العازل وتطبيق خطة اولمرت الاحادية سيضطر نصف مليون فلسطيني على الاقل للتحرك والانتقال والبحث عن ملاذ وسيكون الاردن هو الحيز الجغرافي الذي يفترض به استيعاب هذا الانتقال ونتائجه وتداعياته خلافا للفوضى والاوضاع الحرجة واحتمالات المواجهات الاهلية في قطاع غزة والضفة الغربية على هامش الصراعات المتوقعة بين حركتي فتح وحماس.

وبسبب كل هذه الاعتبارات يمكن القول ان خطة اولمرت في الوجدان الشعبي والنخبوي الاردني تستدعي كل اشباح الذكريات الحزينة والمؤسفة التي حاولت اتفاقية وادي عربة دفنها الى الابد كما قال رئيس الوزراء السابق عبد السلام المجالي بما في ذلك شبح الحراك الديمغرافي والهجرة والازدحام على الجسور والمعابر، وحتى الوطن البديل.

تعديل وزاري اردني يلوح في الافق:

بعض الوزراء يشعرون انهم «سيتعدلون» ومكتب الرئيس يتجاهل الإقتراحات

البخيت في جلسة للحكومة

عمان ـ «القدس العربي»:

شهد الاسبوع الماضي جلسات تقييم فنية لتحديد آليات الاتصال الجماعية بين الديوان الملكي وبين بقية الحلقات الفاعلة في جميع مؤسسات القرار، فقد كلف مدير مكتب جلالة الملك الدكتور باسم عوض الله بملف التنسيق والاتصال ونقل التوجيهات مع الحكومة ورموزها، كما تم احياء وتنشيط الدائرة الاقتصادية في الديوان الملكي وتحديد ضابط اتصال لشؤون الاستثمار، كما بقي ملف العشائر في الديوان كما هو وكذلك الملفات والصلاحيات المنوطة برئيس الديوان الملكي وكلف مستشار الملك فاروق القصراوي بالتنسيق في الشؤون الدبلوماسية والسياسية والاتصالات مع بقية الدول.

وعزز القصر إتصالاته بالنخبة السياسية عبر «لقاءات الخميس» التي يرعاها الملك شخصيا وأسبوعيا وتتضمن تداولات في الشأن العام والداخلي والإقليمي.

وفي غضون ذلك يتفاعل الاحساس داخل الحكومة بان الفرصة قد تكون متاحة قريبا لانجاز تعديل وزاري قد يدخل دائرة الاستحقاق على حكومة الدكتور معروف البخيت ويتهامس الوزراء داخل الحكومة الان بشأن شكل وهوية وملامح اي تعديل وزاري يمكن ان يقترحه البخيت وتعتمده المرجعيات، فيما تؤكد مصادر «القدس العربي» بان الرئيس البخيت يستمع يوميا لإقتراحات «صديقة» أحيانا ومغرضة احيانا اخرى تطالبه بتعديل وزاري لتجنب خيارات التغيير في الصيف المقبل إلا ان البخيت لا يستجيب لهذه الإقتراحات ويتمسك بخلق إنطباع تحت عنوان تماسك وصلابة فريقه الوزاري.

ولا يخفي بعض الوزراء دون غيرهم شعورهم بأنهم من اوائل المرشحين للخروج من الحكومة في محطة اول تعديل وزاري وقد اعتبر مراقبون مطلعون جدا ان قرار الرئيس البخيت باعفاء وزير العمل الدكتور باسم السالم من متابعة الاعتصام النادر لشركة البوتاس وملف هذه الشركة مؤشر على ان الكيمياء غير حاصلة بين الوزير السالم وبين الرئيس البخيت خصوصا بعدما لاحظ زملاء السالم انه ينافس رفاقه مؤخرا في الظهور الاعلامي وهي مسألة ينتقدها الرئيس البخيت ويعبر عن ذلك علنا وسبق للبخيت ان لفت نظر بعض وزرائه لضرورة تجنب الظهور الاعلامي المتكرر والافتاء عبر الصحافة طالبا التعاون فقط مع الناطق الرسمي في مجالات التعبير الاعلامي.

ويعتقد ان فتح ملف المناطق الصناعية المؤهلة مؤخرا قد يكون من الاسباب التي ترشح الوزير السالم للخروج مع اول تعيين، فالوزير اصر على الدفاع عن اخطاء كانت واضحة في مسألة الاساءة للعمال في المناطق الصناعية المؤهلة بالرغم من هذه الاساءة لها ابطال اخرون من بينهم الشركاء الصينيون والهنود.

ولا ينفي وزير الصحة سعيد دروزة من جانبه احساسه بان خروجه ممكن من الحكومة، فالبخيت لا يعرفه اصلا وكان يرغب بتعيين الدكتور كامل العجلوني وزيرا للصحة ودروزة وفق ما يفهم منه يساوي في تعليقاته بين بقائه في الحكومة وخروجه منها ويقول انه اذا خرج من الحكومة فلن يشعر بوجود مشكلة لانه قام بواجبه وعمل ما عليه كما يقول اما وزير الاشغال حسني ابو غيدا فلم تعرف بعد فرصه في البقاء او الخروج اذا تقرر اصلا التعديل الوزاري، فالرجل لا يتكلم كثيرا ولا يخطط اصلا للتكلم.

والمشكلة في الواقع لازالت قائمة بين نائب الرئيس ووزير المالية زياد فريز ووزيرة التخطيط سهير العلي وهي مشكلة يعتقد بانها لن تحسم الا بخروج احدهما في تعديل قادم، ووسط الوزراء واصدقائهم ثمة قناعة آتية من مكان غير معروف بان الوزير فريز سيكون اول الخارجين من الحكومة، فهو محترف بدون شك لكنه غير مقنع وغير منظم حسب الملاحظات العديدة عليه من داخل الحكومة ومن خارجها.

الصحف الحكومية تشن حملات ضد أمريكا لتدخلها بشؤون مصر.. و «الجمهورية» تؤكد رفض التحول للنموذج الليبي.. وحكايات عن تفشي الفساد

اتهام مبارك بالتشبث بالحكم.. ومطالبة بوش بالاستماع للأحزاب المصرية كما استمع لجمال.. وأمريكا تنفي تأييدها للتوريث

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من حسنين كروم:

كانت معظم الأخبار والموضوعات الرئيسية في الصحف المصرية الصادرة امس الاثنين وكأن مصر تحولت فجأة الى دولة عظمى وعملاق اقتصادي وحلت كل مشاكلها، كما ركزت «المصري اليوم» ايضا على المؤتمر الذي لم يجتذب الا اهتمام قلة قليلة جدا حتى من المثقفين فيما انصرفت اهتمامات الغالبية الى الامتحانات ومباريات كرة القدم وتنقل اللاعبين بين الاندية، ولم تكن هناك أخبار ذات مغزى أو قيمة لانشغال الحكومة ووزرائها بأعمال المنتدى، وتصريحات رئيس الوزراء الدكتور أحمد نظيف عن ضرورة السير ببطء في الاصلاحات السياسية حتى لا يستفيد منه الاخوان وألقى بتعبيرات تعتبر فتحا في عالم السياسة ومصطلحاتها، مثل ضرورة العمل لمنع الاخوان من تكوين كتلة سياسية وغيرها، ومن الأفضل ان ندخل مباشرة للتقرير حتى لا نرفع ضغط دمنا أكثر مما هو مرتفع.

الرئيس مبارك

وبدأ برئيسنا والهجوم الذي تعرض له يوم الأحد في «المصري اليوم» من الدكتور حسن نافع استاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة وأغضبني منه، وكيف لا أغضب وهو يقول عن رئيسنا: «رغم مؤشرات كثيرة تدل على بلادة النظام الحاكم في البداية وافتقاره للحساسية السياسية التي تمكنه من اتخاذ القرارات السليمة في التوقيت الملائم فان رؤيته وعدم تهوره جنباه ارتكاب حماقات كبرى، مثل تلك التي شهدتها مصر في عهد عبد الناصر عام 67 أو السادات عام 77 ومنحاه القدرة على الاستمرار في الحكم بتأييد شعبي وجماهيري واضح في البداية، ولو كان الرئيس مبارك قد قرر الاكتفاء بولايتين فقط لكان قد تمكن من ترتيب عملية الانتقال من الشرعية الثورية الى الشرعية الدستورية في أمان تام وانهى حياته السياسية عام 1993 محاطا بكل الاحترام والتقدير.

فقد بدت مصر في ذلك العام وكأنها خرجت لتوها من عنق الزجاجة وتخلصت من بعض أعباء المرحلتين الناصرية والساداتية.

غير ان الرئيس مبارك لسبب أو لآخر لم يتخذ هذا القرار الحكيم، ليس هذا فقط لانه بدا واضحا انه استمرأ السلطة و«طمع» فيها ليس لنفسه فقط ولكن لابنه من بعده، وكان هذا تحولا مذهلا في شخصية الرئيس بدا متناقضا بالكامل مع الانطباعات الأولى عنه، وبصرف النظر عما اذا كان هذا التحول قد تم لأسباب تتعلق بالتركيبة النفسية والجوانية للرئيس مبارك أم بتأثير المحيطين به والقريبين منه، الا انه أدى الى دخول البلاد تدريجيا في مأزق كبير، فالكثير من القرارات الاستراتيجية الخاطئة التي اتخذت مع بداية التسعينيات لا يمكن تفسيرها أو تبريرها الا في اطار الرغبة في ترتيب البيت داخليا وخارجيا على نحو يسمح في النهاية بقبول سيناريو التوريث».

ومنه الى ما تبقى لمن ليس زميلنا وأحمد الله انه ليس صديقي، اذ قال محمد الرفاعي عن رئيسنا في بابه ـ يوميات مواطن مفروس ـ بـ«صوت الأمة»: «ثم ان المطالبة بمحاسبة السيد الرئيس، أو اقالته ليست تهمة، لكنها رأي الناس في الحاكم، وهو حق يكفله الدستور، وبعدين هانفترض مثلا ان شوية عيال مستكترين على الرئيس اللي هو فيه، وقلوا أدبهم، طب، ما السيد الرئيس نفسه بيهين الشعب كل يوم، ومحدش بيقول له حاجة؟!

لقد أهاننا الرئيس عندما أعلن انه لا تستر على الفساد في الوقت الذي وصل فيه الفساد الى أعضاء حكومته وحزبه وأسماؤهم منشورة في الصحف الصفراء والمربعات دون ان يطالب بمحاكمتهم أو حتى التحقيق معهم.

أهاننا الرئيس عندما اعلن انه لن يسجن أحدا وخلي اللي يقول وقواته المدرعة والمصفحة تواجه الاهالي، وتعتقل البنات والأولاد لمجرد انهم تضامنوا مع القضاة، أهاننا السيد الرئيس عندما أعلن ان أزمة القضاة داخلية، وانه يحترمهم ويجلهم، وفي اليوم التالي مباشرة، كانت قواته تضربهم بالجزمة في فضيحة لو حصلت في أي بلد محترم، لاستقالت الحكومة، ومع ذلك لم يعتذر لا هو ولا قائمقام حربها حبيب العادلي، والذي أعلن أمام سيادته ذات يوم، انه يراقب تليفونات الناس جميعا، واللي خايف ما يتكلمش، أهاننا السيد الرئيس عندما أعلن ان الاصلاح السياسي أخو عزوز السياسي، ماشي بنور الله، ولا تراجع ولا استسلام بينما تم تمديد قانون الطوارئ واحتلت قواته شوارع القاهرة، وصدرت اليهم الأوامر باستخدام أقصى درجات العنف، وجر البنات من شعورهن وتمزيق ملابسهن من باب الفضيحة والجرسة، دون ان يعتذر السيد الرئيس أو السيدة سوزان راعية المرأة في بر مصر، أهاننا السيد الرئيس عندما انتقدت الصحف الأجنبية ممارسات نظامه الوحشية، وأعلن ان هذه الحملة مدبرة لاننا ما بنسمعش الكلام، طب يارتنا سمعناه، مكناش اتبهدلنا البهدلة دي، عموما اذا كان السيد الرئيس شايف اننا شعب قليل الأدب، ولازم العادلي يربينا، فسايق عليك النبي ياريس، كفاية خمسة وعشرين سنة، واعتقنا لوجه الله، ينوبك فينا ثواب».

لا، لا، مكانكم حيث انتم فقد جئناكم بزميلنا عبدالله كمال رئيس تحرير جريدة «روزاليوسف» ليسمعكم شيئا مما كتبه أمس في بابه اليومي ـ ولكن ـ:

«لابد ان كل من طالع كلمة الرئيس مبارك في افتتاح منتدى دافوس في شرم الشيخ استوقفته نقاط كثيرة وعبارات عديدة ولابد ان الجميع انتبه الى المصطلح الذي نحته الرئيس وأطلقه في خطابه هذا، وهو «الاصلاح الحكيم».

والواقع ان هذه الفكرة تسيطر على منهج ورؤية الرئيس مبارك منذ فترة طويلة في مقابل ما يمكن ان نسميه على الجانب الاخر «بالاصلاح الأرعن»، الطائش، الهائج، المتعجل، الذي لا يحقق سوى الخراب في العراق، ويحصد الانتكاسة تلو الأخرى في أفغانستان، حيث عادت الى الظهور في الساحة حركة طالبان. الاصلاح الحكيم، متدرج والتدرج لا يعني البطء أو التريث المميت، اصلاح مضمون الاستمرار، لا يتعجل النتائج، يستوعب ثقافات المنطقة، لا ينتكس عند اول تحد أو أي اختبار اصلاح يتوافق مع كل المعايير الديمقراطية، يحترم حقوق الانسان، يفجر طاقات المجتمع في كل المجالات، يحترم الدستور والقانون، ولا يكون انقلابا عليهما او خروجها ضدهما، اصلاح في اطار الشرعية، ومن داخلها».

طبعا، هكذا رئيسنا على الدوام ومن عبدالله الى زميلنا محمد عبدالمنعم رئيس تحرير مجلة «روزاليوسف» السابق وقوله امس ايضا في عموده اليومي بـ«الاخبار»:

«وقف الرئيس مبارك شامخا وسط حشد ضخم ضم أكثر من ألف ومائتي شخصية عالمية حضروا افتتاح المنتدى الاقتصادي العالمي بشرم الشيخ، وقف الرئيس مبارك متجاهلا ومتجاوزا كل محاولات الصغار والأقزام في الداخل والخارج مؤكدا ان سيناء القرن الحادي والعشرين، أصبحت أرض السلام والاعمار التنمية بعد ان كانت ساحة للحرب والمعارك في القرن العشرين، هذه الوقفة وهذا المشهد هما بالضبط ما أراد أعداء مصر اجهاضه ومنع حدوثه».

جمال مبارك

والى زيارة جمال مبارك الأمين العام المساعد للحزب الوطني الحاكم وأمين أمانة السياسات لأمريكا وردود الأفعال عليها ومنها قول زميلنا أسامة هيكل المحرر العسكري لجريدة «الوفد» في مقاله يوم السبت بـ«المصري اليوم» وهو يسخر بمرارة من الاسباب التي ذكرتها الصحف الحكومية للزيارة:

«فحينما يريد محاميو النظام والحزب الوطني تشويه صورة أحد يتهمونه بأنه على اتصال بأمريكا وبانه يتلقى دعما ماليا منها، قد حدث ذلك مع أيمن نور وسعد الدين ابراهيم وآخرين، فبماذا سيصف هؤلاء زيارة جمال مبارك للبيت الابيض والخارجية الأمريكية ومجلس الأمن القومي الأمريكي؟ ولماذا يكون الأمر حلالا على جمال مبارك اذا كان قد سافر بصفته الحزبية، وحراما على شخصيات من أحزاب أخرى، ثم ما علاقة الرئيس بوش بالاصلاحات التي ينوي الحزب الوطني اجراءها، ولماذا لا يستمع الرئيس بوش لوجهة نظر 21 حزبا مصريا أخرى في الاصلاح طالما انه تفرغ من كل مهامه الاستراتيجية على المستوى الدولي، من أجل الاصلاح في الحزب الوطني؟! واذا كان الرئيس بوش هو الشخص الذي تعرض عليه عملية الاصلاح فماذا نعرض على الرئيس المصري؟ واذا كانت الزيارة فعلا بريئة، وهدفها اطلاع الرئيس بوش بالاصلاحات التي سيجريها الحزب الوطني فلماذا لم يسافر أمين عام الحزب الوطني؟ هل كان مشغولا لهذه الدرجة التي لا تسمح له بعرض برنامج الاصلاح على الرئيس بوش؟! أم انه كان مثلنا لا يعلم بالزيارة؟!

واذا كانت تلك الزيارة لهذا السبب فلماذا لم يعلن البيت الابيض ما حدث فيها، واكتفى بالتعليق على ان الرئيس بوش يسلم على الرئيس مبارك؟!

لا أعتقد أبدا ان هذا هو السبب الحقيقي للزيارة الغامضة، ولا أستطيع تجاهل عنصر التوقيت من هذه الزيارة الغامضة، فالرئيس مبارك اعتاد طوال فترة حكمه على السفر لواشنطن خلال هذه الفترة، وفي العام الماضي، سافر الدكتور أحمد نظيف بدلا منه، وهو رئيس الحكومة المصرية، ولديه الصفة الرسمية التي تمكنه من التحدث باسم مصر، ولست أدري هل هي صدفة ان يسافر جمال مبارك في نفس التوقيت هذا العام أم لا، ولست أدري اذا كانت صدفة أيضا ان يلتقي بنفس المسؤولين الأمريكيين الذين تتضمنهم الزيارة السنوية أم لا؟! ولكن التوقيت وعدم سفر الرئيس وعدم سفر رئيس الحكومة يفرضان هذا التساؤل!! فاذا كانت الادارة المصرية لا تريد لنا ان نعلم ماذا يجري، فلتفعل ذلك الادارة الأمريكية، وتصدر بيانا تشرح فيه للشعب الأمريكي ماذا يحدث في مصر لنفهمه هنا في مصر!

وبصراحة اكثر، قد لا أعترض ـ شخصيا ـ على تولي جمال مبارك السلطة في مصر، بشرط ان يقدم أولا مشروعا سياسيا يضمن تداول السلطة، ويضع سقفا محددا ومحدودا لمدة الرئاسة، وان يأتي في اطار عملية ديمقراطية كاملة بعد تعديل المادة 76 من الدستور مرة اخرى، وما أرفضه كل الرفض هو ان تنتقل اليه السلطة، مجانا».

والى «العربي» لسان حال حزبنا العربي الديمقراطي الناصري الذي لم أعد عضوا في لجنته المركزية، وقول زميلنا وصديقنا وعضو مجلس نقابة الصحافيين جمال فهمي في بابه ـ فص ملح ـ:

«سؤال لماذا ذهب مبارك الابن الى واشنطن الاسبوع الماضي سرا وبالليل والدنيا ضلمة، لكني أرى هذا الكلام اسرافا في التحليل والتخمين ينضح بسوء النية ومشاعر بغض وحقد هادلي نجل الرئيس، فلو كانت النوايا حسنة لما كان صعبا اكتشاف السبب الحقيقي لعدم الاعلان المسبق عن زيارة الاستاذ جمال لأمريكا والتي كان يفترض ان تبقى طي الكتمان لولا ان مراسلة «الجزيرة» في البيت الابيض هتكت سترها وكشفت سرها، فالروايات التي نشرتها الصحافة الأمريكية عما جرى في الزيارة أجمعت كلها على ان الرئيس الامريكي بوش مر على مكتب نائبه وهو مجتمع بمبارك الابن ووجه الأخير عبارات مقتضبة خلاصة ترجمتها، ما تنساش يامستر جمال تسلم لي على بابا «!!».

وعليه ـ وكما ترى حضرتك ـ فان الزيارة ليست سياسية ولا حاجة، وانما هي عائلية بحتة، لذلك لم يكن هناك أي داع لان تتم في العلن، فالواحد منا لا ينشر اعلانا في الصحف عن نيته زيارة خالته».

ونظل في «العربي» وقول زميلنا جمال عصام الدين:

«مازال الرئيس مبارك وابنه يعتقدان ان الطريق للنجاة من المهالك هو بذل الغالي والنفيس من أجل الفوز بقلب واشنطن والقابع في البيت الابيض، وأياً كانت أهداف زيارة جمال مبارك والاسلوب الملتوي الذي تمت به فانها تكشف عن ان مبارك مازال مصمما على عدم الالتفات لمطالب الناس والاستجابة لرغباتهم وأشواقهم في التغيير والاصلاح، مازال مبارك ـ وهو حاكم يعاني من ضعف في السمع ـ مصمما على عدم الانصات لانات وآهات الناس ولعذاب الأجيال التي حطمها واحدا وراء الآخر لا ينصت مبارك ـ مثلما فعل السادات قبله حتى وصل الى نهايته التراجيدية ـ الا الى المنافقين في الصحافة الحكومية الذين يزينون له أفعاله تحت نعرات قومية مزيفة وعلاوة على هذا يعاني مبارك من حالة خاصة ورثها من السادات مفادها ان أمريكا بيدها كل شيء وان كسب قلبها هو الرهان الوحيد للبقاء على الكرسي وينسى مبارك ان أمريكا مهما تظاهرت بالاحترام فانها لا تحترم الا من يحترمون شعوبهم، هذا عن الأب أما الابن فمن الواضح انه يسير على نفس الخط.

في حديثه لقناة «العربية» في 8 ابريل قال مبارك انه من غير المعقول ان يحج كل عام للبيت الابيض، ويبدو انه قرر ان يرسل ابنه بدلا منه للحج هناك وفي نفس الوقت يرسل رسالة للشعب المصري مفادها لا تصدقوا كلامي عن نفي التوريث فانا أقول ما لا أفعل وأفعل ما لا أقول والدليل هذه الزيارة التي أرسلت فيها ابني لواشنطن، ان ابني لا يتمتع بأي منصب في الدولة ومع ذلك فانا أدربه على الحكم وأرسله الى الدولة الحليفة الأولى حتى يكتسب الخبرة في التعامل هناك بدلا من ارسال احمد نظيف الذي قد يعجب به الأمريكان ويرون فيه وجها مقبولا يخلفني، هذه هي الرسالة وهذا هو تفكير مبارك فيه وجها مقبولا يخلفني، هذه هي الرسالة وهذا هو تفكير مبارك الذي عهدناه منه، ومن الواضح الآن ان هناك تخطيط مدبرا بين مبارك وابنه وان هناك شيئا ما يدور بينهما ولا يعرفه أحد الا هما وقد ذكر لي أحد الاصدقاء بالحزب ان جمال مبارك عاد من واشنطن وحضر اجتماع الامانة العامة الأخير يوم الثلاثاء الماضي وهو في قمة الانتشاء وسط ذهول قيادات الحزب».

والى وجهات النظر الاخرى، ففي جريدة «المسائية» اليومية قال رئيس تحريرها زميلنا حسن الرشيدي أمس:

«وعندما يسافر مسؤول في الحزب الوطني لتفسير ما يجري على الساحة، وعرض وجهة نظر حزبه، في مختلف القضايا، ما العيب في ذلك؟!

ان مصر تستقبل بين الحين والآخر، ممثلين ومسؤولين عن مختلف الهيئات سواء كانت أمريكية أو أوروبية، وغيرها، بغض النظر عما اذا كان مسؤولو هذه الأحزاب ينتمون للحكومة أو المعارضة، فليس غريبا ان يطير مسؤول حزبي الى الخارج لتبادل وجهات النظر وشرح رؤية حزبه حول مختلف القضايا والملفات الساخنة، أو ازالة أي نوع من التوتر في العلاقات.

ان من حق أي شخص أو مسؤول حزبي ان ينتقل ويتحرك في الداخل والخارج، سواء كان ينتمي لحزب حكومي أو حزب معارض، لعرض رؤية حزبه، في القضايا المطروحة بشرط ان يكون تحركه قائما على الشفافية المطلقة لخدمة بلده ووطنه، بعيدا عن أية عمليات تمويل مشبوهة، وما أكثر نواب البرلمان الذين ينتمون لقوى سياسية وأحزاب معارضة، ويتنقلون بين مصر والخارج، ولا تثار حولهم ضجة، رغم انهم يلتقون بمسؤولين عرب وأجانب!!

انني ضد أي قيود تفرض على حركة أو تنقل أي عضو أو مسؤول حزبي طالما يبتعد عن الشبهات ولا يمول من جهات أجنبية تتبنى أفكارا وأعمالا هدامة تضر بمصالح المواطن المصري».

والى جمال مبارك نفسه الذي قال في البرنامج التلفزيوني ـ وجهة نظر ـ نقلا عن جريدة «المساء»:

«انه لم يتم الاعلان عن هذه الزيارة لانها ليست زيارة رسمية، وانا لست عضوا في الحكومة، وانما ذهبت بصفة حزبية».

هل هناك من يذهب الى الولايات المتحدة ويقابل قيادات في الكونغرس الأمريكي ويقابل اعضاء في الادارة الأمريكية ويقال عن الزيارة سرية، ان هدفي من الزيارة هو التباحث مع أعضاء الكونغرس والصحافيين والكتاب المهتمين بشؤون المنطقة ومع بعض القيادات في الادارة، «تكلمنا وشرحت وجهة نظرنا لما يحدث في مصر وشرحت آفاق الاصلاح واستمعت لملاحظاتهم وهذا مستمر، ليس هناك أسرار في الموضوع، أما ان يثار عليه ضجة ويصور بشكل معين وتضعه بعض الأقلام في اطار معين فهذا تكرار لما تم في 2003 و2002»، انا عبرت بصراحة عن وجهة نظرنا لما يجري وعن قناعة من الواقع الذي نعيشه والادارة الامريكية لها بعض المواقف وتعبر عنها سواء في تصريحاتهم أو في لقاءاتهم، انا رايح وعارف موقفهم في بعض القضايا وجلست مع بعض الشخصيات التي أعلم ان مواقفهم متصلبة تجاه بعض القضايا في مصر وذهبت رغم اني مدرك اني لن استطيع تغيير وجهة نظرهم، الا انني قررت الذهاب حتى نستمر في التحاور ونوضح لهم وجهة نظرنا»!.

والى «المصري اليوم» ورسالة زميلنا عبد الرحمن المصري من واشنطن التي جاء فيها عن تصريحات ديفيد وولش مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأدنى، وجاء فيه:

«وعند مواجهته بحقيقة ان الرئيس بوش ونائبه تشيني ومستشار الأمن القومي ستيفن هادلي ووزيرة الخارجية كوندوليزا رايس لم يسبق لهم ابدا اللقاء بأي شخصية مصرية معارضة زارت واشنطن، قال وولش في تعليق حاد: ولكن لا يوجد في مصر ذلك العدد الكبير من أحزاب المعارضة من الاساس.

وكانت مصادر قريبة من الادارة الامريكية قد صرحت في وقت سابق لمراسل «المصري اليوم» في واشنطن بأنهم يواجهون مشكلة حقيقية تتمثل في غياب حزب مصري معارض حقيقي يمكن ان يمثل منافسا للنظام الحالي.

وذكر مصدر مطلع في البيت الأبيض، شارك في ترتيب زيارة جمال مبارك، ان الرئيس بوش لم يعقد مباحثات مطولة معه اثناء زيارته البيت الابيض، وان المسألة لم تستغرق سوى عدة دقائق قام خلالها بتحيته، وطلب منه ان ينقل تحياته لوالده حسني مبارك على سبيل المجاملة، وباللهجة العامية المصرية طلب الرئيس بوش من جمال «انه يسلموا على بابا!».

مصر وأمريكا

أخيرا الى العلاقات الأمريكية ـ المصرية والقلق الذي تسببه انتقادات المسؤولين الأمريكيين للنظام ومنها تصريحات البرتو فرناندیز المتحدث باسم الخارجية الأمريكية وهو ما أثار غضب زميلنا وصديقنا محمد حبوشة مدير تحرير مجلة «الاهرام العربي»، فقال محذرا في بابه ـ نافذة ـ:

«وهنا لابد للمرء ان يتساءل عن فحوى تلك التصريحات وما أهدافها كي تدس أمريكا انفها في الشؤون الداخلية للدول، لكن الذي يدعو للغرابة ويؤكد بان اصابع العم سام تعبث بالخارطة العربية وتزرع عملاءها في أرض الفوضى الخلاقة، جاء على لسان احد المتضامنين مع القضاة يوم الخميس الماضي من خلال تغطية مراسلة صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية حيث قال لها: انتم السبب «الولايات المتحدة» حكومات بلدكم أعطت الضوء الأخضر للسلطات المصرية كي تتوحش علينا بهذا الشكل البشع، ولم يكتف «المواطن المصري» نفسه، بل صرخ في وجهها: تدخلوا لحماية مصر من بعض أبنائها.

هل يعقل ان يتدخل الاجنبي لحماية بعضنا من بعض، انها نفس النتيجة المؤلمة التي حدثت في الاندلس عندما انهارت دولة الاسلام لان الملوك والسلاطين استعان بعضهم على البعض الآخر بالأجنبي، وكانت النتيجة ضياع الملوك والأمراء والسلاطين ومعهم دولة الاسلام التي كانت منارة تتلألأ في قلب القارة الأوروبية. ان حالة الاحتقان التي تعتري الشارع المصري في حاجة الى تدخل فوري ومناسب من رأس السلطة حتى لا ندع الفرصة لأصابع الخارج التي تستهدفنا فعلا، وتحاول العبث بمقدراتنا وحياتنا التي تشهد قدرا من التوتر والسخونة والتراجع اكثر من أي وقت مضى، عندئذ فقط سوف يختفي السؤال حول أجواء سبتمبرية في مصر المحروسة بأبنائها».

ومن التحذير من التدخل الأمريكي الى استنكار تدخل الاتحاد الأوروبي الذي قالت عنه متأففة مجلة «أكتوبر» في تعليقها: «لا يحق للاتحاد الأوروبي وأية جهة أخرى ان تتدخل في شؤون مصر الداخلية، فهذا مبدأ مرفوض، ومستقر في العلاقات الدولية ووفقا للقانون الدولي الذي يلتزم به الاتحاد الأوروبي وكافة المنظمات الدولية الرئيسية ولا نعتقد ان الاتحاد الأوروبي أو أية دولة مستقلة ذات سيادة تقبل ان يتجاوز أي طرف حدوده المعروفة والمتعارف عليها، وان يتدخل في شؤونها الداخلية، ولم يسبق لمصر ان قامت بمثل هذا العمل مطلقا، ولا يتوقع ان تقوم مستقبلا، انطلاقا من دورها ومكانتها وتاريخها العريق.

نحن ندعو الاتحاد الأوروبي لتقييم الأمور بصورة موضوعية وقانونية دقيقة، وألا ينساقوا وراء الأهواء أو الضغوط التي تمارس عليهم من وراء الكواليس، فمصر لن تقبل أي ابتزاز و تجاوز يمس